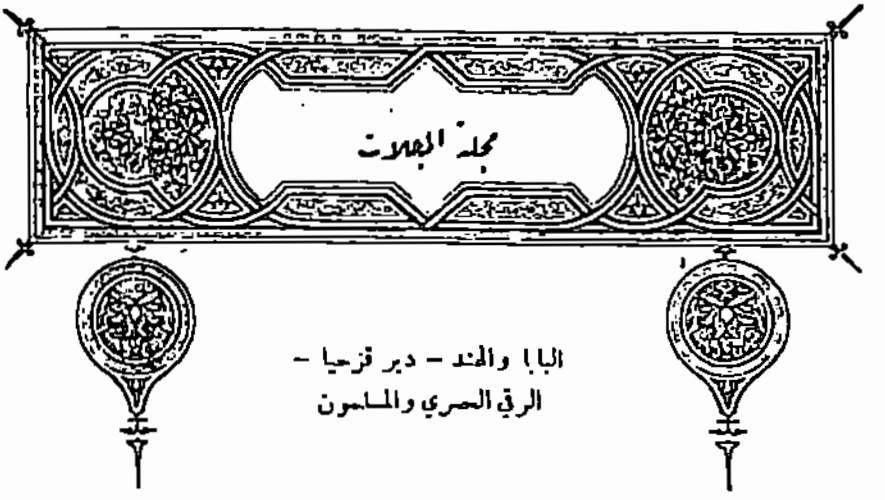

البابا والهند – دير قزحيا –
الرقي الحضري والمسلمون

البابا والهند

يبلغ عدد سكان الهند على الثلثمائة مليون نسمة منهم :

٢١٦,٠٠٠,٠٠٠	وثنيون هنود
٧٠,٠٠٠,٠٠٠	مسلمون
١١,٠٠٠,٠٠٠	بوذيون
١٠,٠٠٠,٠٠٠	نفسيون animistes
٢,٦٠٠,٠٠٠	كاثوليك
١,٨٠٠,٠٠٠	بروتستانت

نظر الاب الاقدس الى اكثرية النير المسيحيين الساحقة في ذلك الاحصاء ، وارسل سنة (١٩٢٥-١٩٢٦) زائرًا الى الهند ، رقمهُ من ثمَّ الى مقام الكرادلة ، وهو السيد ليبي . واستفت مجلة المراسل الافرنسية « *Le Correspondant* » (٣٠ تشرين الاول ١٩٢٩) من الخبر المذكور التعليقات التالية عن حالة الكثلكة في الهند فقالت ما ملخصه :

لا ينكر احد فضل الادارة المدنية الانكليزية في الهند فانها عاملت السكان بالمساواة ، ففتحت ابواب الوظائف لطبقة البارية ، ومهدت السبيل الى ازالة الحواجز الفارقة بين الناس . ومن جملة اصلاحاتها : الغاء عادة الزواج قبل اوانه والغاء عادة احراق الارامل ، ومساعدة المدارس . ومعروف ان الهنود منقسمون الى طوائف متعادية متنافية ، فلا يُعقد زواج بين طائفة وطائفة ، ولا تختلط رجال الطائفتين لتناول الطعام او للمواصلات الاجتماعية . وان من

فضل الدين المسيحي انه اخذ يقتفي من قساوة تلك القوانين الصارمة ، وعسى ان يلغيها تماماً مع تطور الايام ، وقد يستعين على ذلك بالحركة الجديدة الصادرة من الزعيم غاندي الذي اخذ ينادي مواطنيه بواجب القبول بالمساواة بين جميع السكان من اي طبقة كانوا .

واخذ المرسلون يتصرفون بتوزيع الاسرار من غير ان يجعلوا فرقاً بين فئة وفئة ، فتح للسيد فزانديه ، استف تريشينوبولي ، سرّ التثبيت اولاد البراهمة واولاد الباريا معاً ، وجمع الآباء الكبوشيون الاولاد من مختلف طبقات الشعب للتعليم المسيحي . فسخط الوثنيون على المرسلين لعدم تفرقتهم بين الاولاد ورفعوا دعواهم الى الزائر البابوي . فاستقبل السيد لبيبه وفود المحتجين بلطف وبشاشة ثم صرفهم بالحسنى . ونظر الى الاولاد فباركهم ، وحثّهم على المواظبة والصلاة في الكنائس وعلى سماع التعليم .

وبهذه الطريقة اللطيفة تتدرج الكنيسة بتلك الشعوب الى خلع نير التقاليد القاسي ، والتخلق بالاخلاق المسيحية التي لا تفرق بين نفوس العبيد ونفوس الاسياد .

دير قزحيا

ايام الصيف والعطلة المدرسية تدعو الاساتذة والتلامذة الى ترويح النفس من اتعاب الدروس بتمرين الجسد على الرياضة البدنية . ولا بلاد اصلح لتلك الرياضة من الجبال ، يمشي الانسان في قممها من المشقات ما تخلو عاقبته اذا بلغ الذرى واستراح في ظلّ الصنوبر ، وروى الغليل من الينابيع الصافية ، ومتع النظر بالمشاهد الطبيعية الرائعة . ومن محطات الجبل الشهيرة الجديرة باجتذاب السيّاح والزوار اليها وادي قاديشا ، وعلى جانبيه الصوامع والاديرة ، واخصها دير قزحيا . وصفه حضرة الاب الخوري بولس قرألي وصف الشاعر المتفنن قال : (المجلة البطريركية ٣٠٩)

دير قزحيا مختبئ كالناسك في بطن واد عميق ضيق وعر ، محجوب باشجار كثيفة قاتمة تنار عليه من العيون ، ومحصن باسوار صخور شاهقة متوحشة لم تمسها يد بشرية منذ خلق العالم والانسان . لكن الطبيعة التي احبها واحبته قد عوضته من تلك الوحشة فتجلت له بكل ما حباها الله من جمال وجلال ودلال : فيأتيه يوارف ظلالها ، تفتحه ببليل نسيمها ، اطربته بهدير مياهها وحفيف اوراقها

وتغريد اطيارها ، أروته بزلال ينابيعها ، متعته بلذيذ خضرتها وثمارها ، اسكرته بشذا زهورها وبخور صنوبرها وعطور دلبها ، وشغفته بقامات حورها الرشيقة المتايلة تيهاً وغنجاً . فطابت له الاقامة وراقته النزلة واستهوته المغازلة ، فاستمر في هذه البقعة وتوسع واستقل واستكفى ، واصبح بابنيته العظيمة وملحقاتها بلداً قائمة بنفسها في وسط جنينة غنية غناء .

ان قصدت زيارته فطيك اما ان تهبط عليه من عيطورين بدرجات نقرت في جدار الوادي المنتصب فوقه ، او ان تدور من جهة الجنوب مجتازاً قرية بان المختبئة بين العرائش ، حتى اذا بلغت اسفلها وجدت نفسك امام نبع صغير بارد سارح في روضة هادئة منعزلة ، تبش لك وتدعوك الى اراحة جسمك وفكرك بين ظلالها ، وطرح همومك وهواجسك على عشبها النضر . ثم تستأنف السير فتظهر لك جهة الغرب محجبة الدير بحتمية بصخر ينطح الافق وتدكست الشجيرات عنقه وانحسرت عن رأسه فبرز في الجو عارياً حاملاً صليباً كبيراً من جذعي صنوبر ، هو راية هذا الوادي المقدس . وعلى قدمي الصخر تنبسط الكروم التي يشتغل فيها الجيس دفعاً للبطالة ، حتى اذا نضج عنبها وتينها تناول من كل صنف ثلاث حبات فقط ، ليحلو له طعمها فيسمع نفسه عنها ويضاعف اجره . وهو يلبس المسح ولا يأكل غير البقول ولا يقابل النساء ويقضي اكثر ليله في الصلاة راكعاً .

قرأنا الصفحة وذكر زيارتنا الاخيرة الى وادي قاديشا والديان حي في القلوب والاذهان .

في اوائل شهر تموز سرنا بمعية آبائنا ، اساتذة الكلية اليسوعية ، ورقينا روابي لبنان الشمالي عن طريق كسبا والحدث ، وقبل بواجب الزيارة والاكرام البنوي نحو الشيخ الجليل البطريرك الماروني في الديمان فجلس غبطته بيننا بعد تناولنا طعام الغذاء وتحدث الينا بعطف ووداعة وهيبة ثم باركنا واطلقنا نسرح في الدير وجواره ، ونشرف من اعاليه على مناظر وادي قاديشا . وكان سيادة المطران عبدالله خوري ، وحضرة الاب بولس طعمه ، وسائر آباء الدير الاجلاء يحفون بنا بلطفهم وانسهم المعهود . فيطيب لنا اغتنام الفرصة لنرفع الى مقام غبطته عواطفنا البنوية سائلين تعالى ان يمد بأيامه الثمينة لمجده سبحانه ودعم اركان الكثلكة في الشرق .

الرقي العصري والمسلمون

نشر السيد ابراهيم سليان ، في مجلة العرفان ، مقالاً طرق فيه ابواب المقابلة بين الشرق والغرب ، ثم ختمه قائلاً : (حزيران ، ص ٣٢)

نعم للغربيين ان يهزأوا بنا ما دمنا مثابرين على خطتنا هذه وهي الاختلاف القائم بيننا على قدم وساق حتى افترق المسلمون الى نيف وسبعين فرقة مع ان نبينا واحد وكتابنا واحد وشريعتنا واحدة سوى بعض امور اجتهادية لا تقتضي هذا الاختلاف والتشتت العظيم وهي ليست من اصول الدين في شيء اذ ان اصوله عند الجميع خمسة[1] : التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والامامة ، والمعاد ، والجميع متفقون على الجميع اللهم الا مسألة الامامة فانهم متفقون جميعاً على أصل وجوب نصب الامام ولكنهم مختلفون في تعيينه لا غير ، وهذا المقدار لا يستدعي تفريق كلمتهم مع ما ورد من الآيات والاحاديث التي تأمر بالاتحاد وتنهى عن التفريق .

فمتى ننبذ هذا الاختلاف ؟ ومتى نتحد يداً واحدة على من سوانا ؟ ومتى نطرح التعصب الذميم وراء ظهورنا ؟ ومتى نترك استهزاء بعضنا ببعض ؟ اليس بيننا رابطة دينية ان لم تكن وطنية او جنسية ؟ ومتى نسير مجدين في نشر العلوم والآداب والفلسفة والاختراعات والاكتشافات ؟ ومتى نعيش بعقول جديدة غير تلك العقول القديمة الجامدة فالعقل زينة الانسان وهو افضل مخلوق وجد على سطح البسيطة وبه لا بغيره توصل الغربيون الى علومهم الجديدة واختراعاتهم العظيمة المفيدة ، ومتى ندخل — على الاقل — علم النفس والكيميا والهيئة والهندسة والجغرافيا والحساب وغيرها وبعض اللغات الاجنبية بين علومنا وفي مدارسنا ولا نكفر من يقرأها منا ، ومتى نسعى الى العمل فليست الكتابات وحدها بكافية وانما هي نفثة ينفثها قلم من يجيش في صدره عامل الاصلاح فما يلبث ان يقوم في وجهه المعارضون فيقوم ناقضاً ذيله مبرأ نفسه مما كتب عاضاً انامله نادماً على ما فعل فلا حول ولا قوة الا بالله . ف . ت

---

١) لا يقول جميع المسلمين بأن العدل والإمامة من اصول الدين كما لا يخفى .
[الحاشية للعرفان]